

نفهم من أحاديث مبكرة نوعاً ما أن محمداً كان يُكِنُّ ميلاً خاصاً إلى النساء حيث قال: "حُبِّبَ إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرّة عيني في الصلاة". وعن الحسن (البصري) قال: قال رسول الله: "ما أحببت من عيش الدنيا إلا الطيب والنساء". ورد هذا الخبر في وجوه مختلفة: عن عائشة قالت: كان يعجب نبي الله من الدنيا ثلاثة أشياء: الطيب والنساء والطعام، فأصاب الاثنين ولم يصب الطعام. في ضوء هذه الآثار قد نفهم الحديث الآتي أحسن: "كُمُل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وأسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام". وفي خبر آخر: "ما كان شيء أعجب إلى رسول الله من الخيل". "لم يكن شيء أحب إلى رسول الله بعد النساء من الخيل". مما يفسر الحكمة من وجود الخيل في الجنة. "أربع من سنن المرسلين: الحياء والتعطر والسواك والنكاح". فالمرأة خير متاع الدنيا: "إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة". أما شروط (أوصاف) المرأة الصالحة فهي أن تُفرح زوجها إذا نظر إليها، وأن تطيع إذا أمرها بشيء. لقد علّل العلماء كثرة زواج محمد وميله إلى النساء بقوته الفائقة على الجماع كما ورد ذلك على لسان النبي نفسه: "كنت من أقل الناس في الجماع حتى أنزل الله عليّ الكفيت. فما أريده من ساعة إلا وجدته". وفي رواية أخرى: "قال رسول الله: لقيني جبريل بقدر، فأكلت منها، وأعطيت الكفيت قوة أربعين رجلاً في الجماع". وروت سلمى مولاته: "طاف النبي ليلة على نسائه التسع اللاتي توفي وهن عنده. كلما خرج من عند امرأة قال: صبي لي غسلًا فيغتسل قبل أن يأتي الأخرى. قلت: يا رسول الله أما يكفيك غسل واحد؟ فقال النبي: "هذا أطهر وأطيب".

نود الآن أن ندرس في الفصول القادمة من كتابنا زوجات محمد وما وقع من حوادث هامة في بيت النبي، وذلك من المصادر المعترف بها لدى عامة المسلمين. رغم أن المصادر تزودنا بمعلومات متضاربة بخصوص عدد زوجات محمد، يمكننا القول بأنهن كن ثلاث عشرة امرأة إذا أضفنا ماري القبطية إليهن. لقد تزوج محمد هؤلاء السيدات وعاش معهن مدة معينة. ما عداهن فإن هناك اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة امرأة تزوجهن محمد دون أن يقضي معهن مدة من الزمن. ونساء خطبهن ولم يتم نكاحه، بالإضافة إلى من وهبت نفسها له.

زوجات محمد حسب التسلسل التاريخي

- 1- خديجة بنت خويلد: زوجة محمد الأولى التي تزوجها عام 595 أي قبل الهجرة بـ 25 سنة وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وقبل "البعثة" بعامين.
- 2- سودة بنت زمعة: تزوجها محمد في شهر رمضان بعد البعثة بعشر سنين بعد وفاة خديجة وقبل زواجه من عائشة، وقبل الهجرة بعدة أشهر. لقد أجمعوا على أنها الزوجة الثانية لمحمد. ولكن الخلاف يدور حول السؤال عما إذا كان محمد نكح أولاً عائشة أو سودة. يقول البعض أنه (أي محمد) تزوج عائشة أولاً، لكن لصغر سنهما وطأ سودة أولاً.
- 3- عائشة بنت أبي بكر: تزوجها نبي الله في شهر شوال قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد البعثة بعشرة أعوام حسب رواية لعائشة نفسها. ونكحها في شهر شوال وبعد الهجرة بثمانية شهور. وهي البكر الوحيدة بين زوجات محمد.

- 4- حفصة بنت عمر: تزوجها رسول الله في شهر شعبان، بعد الهجرة بـ 31 شهراً . أو في العام الثالث من الهجرة وقبل أحد بشهر أو شهرين .
- 5- زينب بنت خزيمة: مات زوجها في معركة أحد فتزوجها محمد أي بعد الهجرة بـ 31 شهراً.
- 6- أم سلمة: تزوجها محمد في رواية قبل غزوة الخندق بثلاث سنين، في العام السادس من الهجرة وتم العرس في شوال السنة الرابعة من الهجرة أو بعد بدر بثلاث سنين .
- 7- زينب بنت جحش: من شبه المستحيل التحديد الزمني لزواج محمد منها. تم الزواج إما في شهر ذي القعدة أو شعبان في السنة الخامسة للهجرة، أو في العام الثالث بعد الهجرة . وسندرس زواج محمد من زينب بنت جحش في فصل مستقل.
- 8- جويرية بنت الحارث: سُببت أثناء غزوة بني المصطلق وكانت من جملة الغنائم، تزوجها محمد إما في السنة الخامسة أو السادسة للهجرة إذ لا يعرف بالتحديد متى وقعت هذه الغزوة. ورد في السيرة النبوية أن محمداً اشتراها من ثابت بن قيس فأعتقها فتزوجها .
- 9- صفية بنت حيي: كانت من جملة غنائم خيبر التي تم فتحها العام السادس من الهجرة، واختيرت لمحمد .
- 10- أم حبيبة: تقول القصص بشأنها إن النجاشي زوّجها محمداً .
- 11- ماري القبطية: أرسل المقوقس عظيم القبط حسب الروايات أربع جوارٍ إلى محمد كانت ماريًا إحداهن . وصلت إلى المدينة في العام السابع . لم تلد غير خديجة وماريا من زوجات محمد ولدًا صبيًا.
- 12- ميمونة بنت الحارث: تزوجها محمد عام سبع من عمرة القضاء . إنها آخر أزواج الرسول
- 13- ريحانة: ليست ريحانة من "أمهات المؤمنين" مع مكانتها المرموقة في بيت محمد . فلما وقع النبي على بني قريظة سبها رسول الله إذ كان يكون له صفي من كل غنيمة . عرض محمد عليها الإسلام ولكنها أبت، ويقال إنها أسلمت فيما بعد .

أزواج محمد في كتب السيرة

- 1- خديجة بنت خويلد: لما بلغ محمد خمسا وعشرين سنة من عمره تزوج خديجة بنت خويلد . كانت تاجرة وذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم. كانت أرملة في الأربعين من عمرها. عرضت على محمد أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً . لقد عرض على محمد أن يتزوجها غير أنه لم يكن واثقاً من نفسه حيث قال: "ما بيدي ما أتزوج به" . فأخذت خديجة زمام المبادرة وأعربت عن رغبتها في الزواج.
- إنها الوحيدة بين زوجات محمد التي لم يتزوج امرأة حتى وفاتها . وفي رواية أنها قالت لأختها: انطلقيني إلى محمد فانكريني له. وأن أختها جاءت فأجابها بما شاء الله، وأنهم تواطؤوا على أن يتزوجها رسول الله، وأن أبا خديجة سقى من الخمر حتى أخذت منه، ثم دعا محمداً فزوجه. قال سُنّت على الشيخ حُلة فلما صحا قال: ما هذه الحلة قالوا خنتك محمد، فغضب وأخذ السلاح وأخذ بنو هاشم السلاح. ثم أنهم اصطَلحوا . إن خديجة ولدت لمحمد أولاده كلهم إلا إبراهيم: القاسم وبه كان يكنى، والطيب، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة . أما

2- سودة بنت زمعة: هي أول امرأة تزوجها محمد بعد وفاة خديجة، وذلك بعد وفاة زوجها، فأرسل إليها محمد فخطبها في رمضان سنة عشر من النبوة، قبل زواجه بعائشة. عن عائشة قالت: كانت سودة بنت زمعة وكان رسول الله لا يستكثر منها، وقد علمت مكاني من رسول الله فخافت أن يفارقها، فقالت: يا رسول الله يومي الذي يصيبني لعائشة، وأنت منه في جل. فقبله النبي وفي ذلك نزلت: "إن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعرافاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير". روي عن النعمان بن ثابت التيمي قال: قال رسول الله لسودة بنت زمعة: اعتدي، فقعدت له على طريقة ليلة، فقالت: يا رسول الله مالي حب الرجال، ولكنني أحب أن أبعث في أزواجك، فأرجعني. فرجعها رسول الله .

3- عائشة بنت أبي بكر: هي الزوجة الثالثة لمحمد. عندما خطبها محمد ذاع الخبر في قريش بين مؤيد ومنكر معارض فالمؤيد يأخذ من خطبتها لجبير من قبل محمد سبباً لجواز خطبة بنت لم تتجاوز السابعة من عمرها، والمعارضون أنكروا أن يخطب رجل في الثالثة والخمسين من العمر صببية في السابعة من عمرها، لم يرض محمد أن ينتزع الصبية اللطيفة المرحمة من ملاهي طفولتها أو يتقل على كاهلها الغض بأعباء الزوجية ومسئوليتها، بل تركها حيث هي في بيت أبيها ويقال أنه كان يلعب معها ألعاب الأطفال .

هاجر محمد وصاحبه إلى المدينة وبعد أن استقر في دار هجرته بعث زيد ابن حارثة إلى مكة ليصحب بنات النبي ومعه رسالة من أبي بكر إلى ابنه عبد الله أن يصحب معه والدته وابنتيه أسماء وعائشة، وكانت عائشة عروساً حلوة خفيفة الجسم، ذات عينين واسعتين، وشعر جعد، ووجه مشرق، مشرب بحمرة وانتقلت إلى بيتها الجديد الذي كان عبارة عن حجرة من الحجرات التي شيدت حول المسجد .

روي عن عائشة نفسها، تزوجني رسول الله في شوال سنة عشر، من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين وأنا ابنة ست سنين وكنت يوم دخل بي ابنة تسع سنين . أما عند ابن هشام "فتزوجها محمد وهي ابنة سبع سنين وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين أو عشر ولم يتزوج رسول الله بكرة غيرها . وعنها: "تزوجني رسول الله وإني لألعب مع الجواري، فما دريت أن رسول الله تزوجني حتى أخذتني أمي فحبستني في البيت عن الخروج، فوقع في نفسي إني تزوجت". وفي رواية لعطية قال: خطب رسول الله عائشة بنت أبي بكر وهي صببية، فقال أبو بكر: أي رسول الله، أيتزوج الرجل ابنة أخيه؟ فقال: إنك أخي في ديني. فزوجها إياه على متاع بيت قيمته خمسون أو نحو من خمسين. كنت ألعب مع البنات على عهد رسول الله. دخل علي رسول الله وأنا ألعب مع البنات. فقال: ما هذا يا عائشة؟ فقلت: خيل سليمان. فضحك".

عن عائشة قالت: "فُضلت على نساء النبي، ص بعشر". قيل: ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت: "لم ينكح بكرة قط غيري، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله، عز وجل، براءتي من السماء، وجاءه جبريل بصورتني من السماء في حريرة وقال: تزوجها فإنها امرأتك، فكننت أغتسل أنا وهو من إنياء واحد. ولم يكن يصنع ذلك بأحد غيري، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك بأي

وبينما كانت عائشة تغط في الفرحة والسعادة والحب الذي أنساها حرمانها أملة ولو بعد حين أن تنسى ضررتها التي ماتت ففوجئت بزواج جديد تدخل بيت النبي وتشغل الحجرة التالية لحجرتها وتشاركها في حياتها الزوجية، وروع عائشة أن يتزوج محمد عليها وما تزوج على خديجة حتى ماتت في الخامسة والستين؛ وأشقاها ألا يحميها شبابها وشرف أبوتها وحب محمد لها من ذلك الهم البغيض المر الذي لم يرض محمد لخديجة أن تذوقه ما عاشت؛

وجاءت من بعد حفصة زوجات أخريات حتى امتلأت بهن البيوت التسعة وكان هذا بحيث يجعل عائشة تسبغ هذه المشاركة على مر الأيام، لكن يخطئ من يزعم أو يتوهم أن عائشة أساغت يوماً ما ضررائها ويجهل فطرة الأنثى من يظن أن عائشة استراحت من ألم حرمانها من الأبناء.

لم تدر عائشة في أول الأمر كيف تدفع هذا الضرر المحتوم فقد كانت تعرف كما يعرف سواها أن النبي يتزوج لضرورة أو حكمة وأنه أملك الناس لهواه، وقد حرصت جهدها على أن تذود هؤلاء الأخريات عن مكانها "فهي الحبيبة الغالية بنت الصديق" في قلب زوجها مهما كان الأمر وأن تحاول بكل أنوثتها وذكائها وصبائها أن تلزمهن موضعاً بعينه لا يتجاوزهن، وأعانها على ذلك أن كان النبي بشراً لا يبرأ من بشريته ولا يحمل عائشة أو غيرها من نساءه على التجرد منها، وكانت عائشة أشدهن غيرة عليه ونضالاً في سبيل الاستئثار بحبه وعذرها في ذلك أنها أول من تفتح لها قلبه بعد خديجة وأنها وحدها التي تزوجها بكرة، وللخروج من هذا المأزق قررت عائشة التودد لمن هن خطراً عليها فأسقطت من حساباتها غير ذوات الخطر منهن ممن لا قبل لهن بمنافستها مثل سودة بنت زمعة، زينب بنت خزيمة الهلالية التي لم تلبس أن ماتت بعد زواجها بأشهر معدودات وقررت أن تختار من هؤلاء أبعدهن عن الخطر في ميدان المنافسة فتوددت في شجاعة إلى "حفصة بنت عمر" واستجابت حفصة لهذا التودد وجعلت من حفصة موضع سرها منذ سمعت بزواج النبي من أم سلمة فشكت لحفصة أنها أجمل مما يقول النار وهونت حفصة من خطر أم سلمة فإنها على جمالها كبيرة السن.

وسألت عائشة النبي: "من أزواجك في الجنة؟" قال: "أنت منهن". نعرف من الأخبار أن عائشة كانت أحب زوجة لمحمد بين أزواجه. سأله عمرو بن العاص: "يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. قال: إنما أقول من الرجال. قال أبوها". وأخيراً "فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام". وفي رواية أن محمداً توفي دون أن يشبع منه. وكانت عائشة بنت ثمانين سنة عندما توفي النبي.